قراءات سيكولوجية في الشخصية العربية

العربية تنعى أعداءَها!!/ الفردي والجماعي!!
القبضوية!!/ الكاتب والنص!!

د. صادق السامرائي- الطب النفساني، العراق / أمريكا

العربية تنعى أعداءَها!!

منذ قصيدة الشاعر حافظ إبراهيم التي عنوانها " اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها" , المنشورة عام (1903) , والكتابة عن اللغة العربية تتخذ ذات الأسلوب الذي شاع فيها.

" رجعتُ لنفسي فاتهمتُ حَصاتي
ونارديتُ قومي فاحتسبتُ حياتي
.....

وإما ممات لا قيمة بعده
ممات لعمري لم يُقَسْ بمماتِ"

هكذا تبدأ وتنتهي القصيدة , ولست معنيا بسبر أغوارها وشرحها ونقدها , وإنما للإشارة إلى ما فتحته من أسلوب للتعامل مع اللغة العربية , وكأنها الرجل المريض , والعجيب في الأمر أن هذه القصيدة قد درسناها في مدارسنا , ولازالت الأقلام تتبع خطاها عندما تكتب عن لغة الضاد , أي بسلبية ودونية وظلامية , وإنهزامية واضحة , ومعظم الكتابات عن العربية ذات طابع تأبيني وعدواني.

فمَن نعى مَن؟
العربية هي التي نعت حافظ إبراهيم!!
وقد رثاه أحمد شوقي بقصيدةٍ مطلعها:
"قد كنتُ أوثر أن تقولَ رثائي
يا منصفَ الموتى من الأحياءِ"

والعربية بعد (117) سنة على قصيدته الناعية تقدمت وتطورت وواكبت , وتنامت قدراتها على التعبير والعطاء الثري الغزير في ميادين الحياة كافة , وهي مؤهلة لنعي مَن ينعاها , وتأبين أعدائها أيا كانوا , ومهما توهموا بأنها ستُنعى , كما توهم الشاعر حافظ إبراهيم.

فلتتصالح الأقلام مع لغة الضاد , وتكتب عنها بإيجابية وتفاؤل , وتبتعد عن الأساليب اليأساوية الإكتئابية الحزينة , التي تحسبها ميتة وتلطم عليها بالكلمات , فهذا إنحراف سلوكي غريب لا وجود له في مجتمعات لغات الدنيا المهتمة بالجد والإجتهاد , ولا يخطر على بالها الكتابة بسلبية عن لغتها كما يحلو لنا أن نكتب.

اللغة العربية حية خالدة ولن يؤثر فيها أعداؤها , مهما حاولوا التنكيل بها والحط من قدرها ودورها الإنساني الحضاري , فالعربية بخير وإزدهار وستصون تراث أمة الحضارات!!

منذ قصيدة الشاعر حافظ إبراهيم التي عنوانها " اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها" , المنشورة عام (1903) , والكتابة عن اللغة العربية تتخذ ذات الأسلوب الذي شاع فيها

لتتصالح الأقلام مع لغة الضاد , وتكتب عنها بإيجابية وتفاؤل , وتبتعد عن الأساليب اليأساوية الإكتئابية الحزينة , التي تحسبها ميتة وتلطم عليها بالكلمات , فهذا إنحراف سلوكي غريب لا وجود له في مجتمعات لغات الدنيا المهتمة بالجد والإجتهاد

اللغة العربية حية خالدة ولن يؤثر فيها أعداؤها , مهما حاولوا التنكيل بها والحط من قدرها ودورها الإنساني الحضاري , فالعربية بخير وإزدهار وستصون تراث أمة الحضارات!!

الفردي والجماعي!!

الأمم المتأخرة في القرن الحادي والعشرين , عليها أن تضع الأسس التفاعلية الكفيلة بنشاطات جماعية متضامنة , لكي تتواصل مع عصرها , وأمتنا بحاجة لتأهيل قدراتها الجماعية لتكون.

ومنذ نهاية الحرب العالمية الأولى والخوف من التفاعل العربي الجماعي يخيّم على الدول المنتصرة فيها , والتي توزعت ممتلكات الدولة العثمانية , ولهذا عملت جاهدة على ترسيخ الفرقة والإحتراب بين الدول العربية , التي لو إستوعبت دورها وإستثمرت بوجودها لكانت من القوى المهيمنة.

فالتقسيم تحول إلى نقمة , والنفط أصبح نقمة , والدين صار نقمة , فكل نعمة في ديارنا يجب أن تكون نقمة!!

وما يجري بإرادتنا , فالذي يتنازل عن إرادته عبّر عن خياره , وإرتضى أن يكون عبدا مطيعا للآخر الذي يسخّره لتحقيق مصالحه.

والتفاعلات الفردية المقرفة المتشظية الدائرة في واقعنا هي خيارات الكراسي المرهونة المصير , والمحمية من قبل سيدها المفترس الأمير , وستتواصل لأنها تحقق مصالح الغير وتناهض مصالح المواطنين , وتمنع أي نشاط جماعي يصنع قوة ويولّد قدرة على التحدي والرقاء.

فالأمة لن تكون إذا أغفلت الإرادة الجماعية , ولم توفر للأجيال البنى التحية الأساسية للإنطلاق الخلاق في نهر العصر الدفاق , بعيدا عن أي معوق أو مصد مهما كان نوعه ودرجته.

ولا بد للدين أن يبتعد عن الكرسي , لأنه صار مطية لتحقيق مصالح الآخرين , والإجهازعلى تطلعات الأجيال ودفنها في خنادق الوعيد والشديد.

فهل من قدرة على تفعيل إرادة نحن؟!!

*النِقمة: العقوبة , وهي عكس النعمة.

الأمم المتأخرة في القرن الحادي والعشرين , عليها أن تضع الأسس التفاعلية الكفيلة بنشاطات جماعية متضامنة , لكي تتواصل مع عصرها , وأمتنا بحاجة لتأهيل قدراتها الجماعية لتكون

منذ نهاية الحرب العالمية الأولى والخوف من التفاعل العربي الجماعي يخيّم على الدول المنتصرة فيها , والتي توزعت ممتلكات الدولة العثمانية , ولهذا عملت جاهدة على ترسيخ الفرقة والإحتراب بين الدول العربية

الأمة لن تكون إذا أغفلت الإرادة الجماعية , ولم توفر للأجيال البنى التحية الأساسية للإنطلاق الخلاق في نهر العصر الدفاق , بعيدا عن أي معوق أو مصد مهما كان نوعه ودرجته

لا بد للدين أن يبتعد عن الكرسي , لأنه صار مطية لتحقيق مصالح الآخرين , والإجهازعلى تطلعات الأجيال ودفنها في خنادق الوعيد والشديد.
فهل من قدرة على تفعيل إرادة نحن؟!!

القبضوية!!

القبضوية من القبض وهو خلاف البسط , وتعني الإنقباض , ويُقال: قبض الطائر جناحه أي ضمه , وقبض الشيئ قبضا أي أخذه , والإنقباض خلاف الإنبساط , وإنقبض الشيئ أي صار مقبوضا.

والقبضوية منهج سلوكي يسري في أنظمة الحكم على مر العصور , ويعني أن الشخص أو الحزب أو الفئة والعائلة وغيرها من التسميات تقبض على السلطة , وتتحكم بمصير البشر الذي تخضعه لأمرها وسطوتها.

وهي تقبض أي تأخذ وتتمسك وتفعل ما بوسعها لإدامة قوة قبضتها على كرسي الحكم , وبواسطته تحقق رغباتها وترضي أهواءها.

القبضوية منهج سلوكي يسري في أنظمة الحكم على مر العصور , ويعني أن الشخص أو الحزب أو الفئة والعائلة وغيرها من التسميات تقبض على السلطة , وتتحكم بمصير البشر الذي تخضعه لأمرها وسطوتها

كل قبضة إلى إنبساط , فلا يمكن لفعل القبض أن يدوم ,

والقابض يكون مرهونا بمقبوض , فلا قابض من دون شيئ مقبوض , والقبض بحاجة لقوة وطاقة وحِيَّل لإدامة قدرات القبض والتمسك بالمقبوض عليه.

وكل قبضة إلى إنبساط , فلا يمكن لفعل القبض أن يدوم , لأنه يتنافى وطبيعة الأشياء وفسلجة التفاعل في عالم الأحياء , ذلك أنك لا يمكنك أن تقبض يدك بقوة لفترة طويلة , بل لا يمكنك أن تفعل ذلك لدقائق معدودة , إذ لا بد من الإنبساط , فلكي تكون القبضة قوية يجب أن يتحقق الإنبساط , والإسترخاء.

وهذا المفهوم ينطبق على السلوك البشري بأنواعه , ومنه سلوك التسلط أو القبض على الحكم , الذي يتسبب بتأجيج طاقات التفاعل السلبي مع المقبوض عليه , فكل مقبوض يسعى لتحرير إرادته من القبضة التي تتحكم بمصيره.

ولكي تنجو القبضة من الإنبساط لا بد لها أن تقضي على المقبوض عليه وتدمره , وتستنزف قدراته وتسكره بما تستطيع من خمور الويلات والتداعيات الإنهاكية , الكفيلة بتدويخه وتعزيز ترنحه وغثيانه وإضطرابه.

فالمفترسات عندما تقبض على فريسة تقتلها أولا , وذلك بالإطباق على عنقها لكي تنبسط وتأكلها بجهد قليل , وإن لم تقتلها فأنها ستبذل جهدا أكبر وربما تصاب بأضرار.

والمنهج القبضوي يسري في أنظمة الحكم في المجتمعات المتخلفة , ولهذا تجد القابض على السلطة يشرّع القوانين اللازمة لتعزيز قبضته وخنق المقبوض عليهم وأسرهم في زنزانة حكمه.

وهذه ظاهرة مستشرية في أنظمة الحكم عندنا بأنواعها ما عدا القليل , الذي ربما في طريقه إلى غير ذلك من أساليب الحكم , لكن السائد أن أنظمة حكمنا قبضوية , ولهذا تجد الواقع في أزمات وتفاعلات دامية , لأن القابضون على السلطة يعملون على تشديد قبضتهم وتدعيمها خوفا من التراخي والإنبساط , والسقوط في وحل الإفتراس من قبل قابض جديد.

وفي الواقع العراقي فأن هذا المفهوم قد تجسد بوضوح ساطع , فما أن تهاوت الملكية حتى دخل البلد في دوامة القابض والمقبوض عليه , وتحقق تبادل عجيب للإدوار مما أسهم في تأجيج الصراعات المتواصلة ما بين القابض والمقبوض عليه , فتارة يكون القابض متوحشا , وأخرى يكون المقبوض عليه في حالة من الوحشية المطلقة ذات الشحنات الإنفعالية العارمة.

وأمثلة ذلك تبادل الأدوار ما بين الأحزاب , فقبل ألفين وثلاثة كان حزب يقبض على السلطة ويحسب لن يتمكن أحد من القبض عليه , وإذا بالأحزاب المقبوض عليها تقبض عليه , وتلقمه أفظع ما يمكن لقابض أن يفعله بالذي كان قابضا عليه.

ووفقا لهذا المفهوم فأن التقدم لن يتحقق في البلاد المتأخرة , والحياة لن تتحرك بإتجاهاتها الصائبة , وإنما هي منحدرات ذات تداعيات مريرة , ما دامت غير قادرة على إقامة أنظمة حكم متوازنة راسخة التقاليد والأعراف , وذات قدرة على مُفاعلة الأجيال في وعاء وطني عزيز.

فالأنظمة القبضوية لا فائدة ترتجى من ورائها , ولن تحقق ما هو نافع لها ولمن بقبضتها , لأن حينها سيحين , ولا بد لها أن تبسط قبضتها وتجد نفسها عاجزة على البقاء في سدة الحكم , إلا إذا ساندتها قوى خارجية تحافظ عليها لتأمين مصالحها , لكن الأمر سيتغير لأن المصالح تتبدل , ولا يمكن لنظام واحد أن يخدم مصالح الآخرين للأبد فيكون أمر تغييره حتمي وضربة لازم.

وهكذا تدور الدوائر ويفور تنور الويلات!!

لأنه يتنافى وطبيعة الأشياء وفسلجة التفاعل في عالم الأحياء , ذلك أنك لا يمكنك أن تقبض يدك بقوة لفترة طويلة , بل لا يمكنك أن تفعل ذلك لدقائق معدودة , إذ لا بد من الإنبساط , فلكي تكون القبضة قوية يجب أن يتحقق الإنبساط , والإسترخاء

لكي تنجو القبضة من الإنبساط لا بد لها أن تقضي على المقبوض عليه وتدمره , وتستنزف قدراته وتسكره بما تستطيع من خمور الويلات والتداعيات الإنهاكية , الكفيلة بتدويخه وتعزيز ترنحه وغثيانه وإضطرابه

المنهج القبضوي يسري في أنظمة الحكم في المجتمعات المتخلفة , ولهذا تجد القابض على السلطة يشرّع القوانين اللازمة لتعزيز قبضته وخنق المقبوض عليهم وأسرهم في زنزانة حكمه

القابضون على السلطة يعملون على تشديد قبضتهم وتدعيمها خوفا من التراخي والإنبساط , والسقوط في وحل الإفتراس من قبل قابض جديد

الأنظمة القبضوية لا فائدة ترتجى من ورائها , ولن تحقق ما هو نافع لها ولمن بقبضتها , لأن حينها سيحين , ولا بد لها أن تبسط قبضتها وتجد نفسها عاجزة على البقاء في سدة الحكم

ما هي علاقة الكاتب بالنص الإبداعي أو الأدبي بعد نشره؟!!

هل يكون مرآة لأنا كاتبه؟!

هل يتحوّل إلى جزء شخصي من الكاتب؟!

يبدو أن العلاقة مشوشة بين الكاتب ونصه المنشور , وهذا ما تُظهره تفاعلات التعليقات على النصوص , التي تنحرف وتتحول إلى معارك دفاعية ومشخصنة , وهذا سلوك غير ثقافي لا ينفع القارئ والمتابع للنصوص , التي من المفروض أن تفيدنا وتضيف لمعلوماتنا ما يطورنا ويجددنا.

العجيب في أمر بعض أصحاب النصوص أنهم لا يتحملون النقد أو التصويب , وتتقد إنفعالاتهم وتتأجج عواطفهم , وتتحول بوابة التعليق إلى ميدان للتصارع أو التقاتل الضار.

وكقارئ أتأسف أن لا نرتقي بقدراتنا التفاعلية إلى ما هو منوِر للأذهان ومُثقِف للأجيال.

إذا كان الذي يكتب نصا يَحْسَبه مُنَزّلا , فعليه أن لا ينشره , والذي يتصوّر نفسه يعرف فلا داعي لنشر ما يعرف , فالواقع الإنساني يؤكد أننا مهما عرفنا فسنجهل , ومَن لا يريد أن يَتعلم ويعرف عليه أن ينسحب , ما دام قد علِمَ وعَرَفَ وصار من العالمِين أو العارفين.

عندما يُنشر النص يصبح بيد القارئ , وكاتبه يتحوّل إلى ناقد لنصه لكي يتعلم ويتطور ويستفيد , لا أن يتشبث به ويَراه عين التمام والكمال , فلا يوجد نص مستوفي شروط الكمال والتمام , ففي كل نص نقص ما , والتمام والكمال غاية لا يبلغها البشر , إنها أشبه بمطاردة السراب.

وبخصوص الشعر مهما كتبنا وأبدعنا فلن نأتي بأفضل مما جاء به الذين سبقونا , فمسيرة الشعر العربي تقاس بعشرات القرون , وما أنتجه العرب من الشعر إشتمل كل ما يتصل بالإنسان وتفاعلاته مع الحياة بتحدياتها وحوادثها وتقلباتها.

وحتى الذين ركبوا حصان التجديد والحداثة لم يأتوا بجديد , سوى أنهم توهموا أن التجديد بتغيير الشكل أو تدميره , لكن المضمون لم يتغير وما تطور , وها هي مسيرتهم تقترب من الفشل والأفول , لأنها لم تقدم ما هو فاعل ومؤثر في مسيرة الأجيال , ولا يُحفظ مما كتبوه شيئا.

فعلينا أن لا نتحامل ونمتشق سهام نرجسيتنا وأنانا المتضخمة بوجه بعضنا , فالإناء ينضح بما فيه , ولو إطلعنا على تراثنا لإكتشفنا ضآلتنا المعرفية!!

فلماذا لا نجيد مهارات التحاور والإنسجام ونميل للخصام؟!!

إذا كان الذي يكتب نصا يَحْسَبه مُنَزّلا , فعليه أن لا ينشره , والذي يتصوّر نفسه يعرف فلا داعي لنشر ما يعرف , فالواقع الإنساني يؤكد أننا مهما عرفنا فسنجهل , ومَن لا يريد أن يَتعلم ويعرف عليه أن ينسحب , ما دام قد علِمَ وعَرَفَ وصار من العالمِين أو العارفين.

عندما يُنشر النص يصبح بيد القارئ , وكاتبه يتحوّل إلى ناقد لنصه لكي يتعلم ويتطور ويستفيد , لا أن يتشبث به ويَراه عين التمام والكمال

حتى الذين ركبوا حصان التجديد والحداثة لم يأتوا بجديد , سوى أنهم توهموا أن التجديد بتغيير الشكل أو تدميره , لكن المضمون لم يتغير وما تطور

علينا أن لا نتحامل ونمتشق سهام نرجسيتنا وأنانا المتضخمة بوجه بعضنا , فالإناء ينضح بما فيه , ولو إطلعنا على تراثنا لإكتشفنا ضآلتنا المعرفية!!

لماذا لا نجيد مهارات التحاور والإنسجام ونميل للخصام؟!!

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Documents/DocSamarraiArabPersonalityPsy22.pdf

*** *** ***

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2021 1 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار التاسع)

الشبكة تدخل عامها 21 من التأسيس و 18 على الويب
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf